لأن من يراد في التمييز لا في الحال وأيضاً المقصود مدحه بالفروسية لا بالحال
الفروسية إذ قد يمدح في حال الفروسية بغيرها من الصفات ولا يتقدم
التمييز على عامله إذا كان اسماً تاماً بالاتفاق فلا يقال عندي درهماً عشرون
ولا زيتاً رطل لأن عامله حينئذ اسم جامد ضعيف العمل مشابه للفعل مشابهة
ضعيفة كما ذكرناه فلا يعمل فيما قبله والأصح أي أصح المذاهب
أن لا يتقدم التمييز على ما هو عامل فيه من الفعل الصريح أو غير الصريح لكونه من
حيث المعنى فاعلاً للفعل نحو طاب زيد نفساً أي طاب نفس زيد أو فاعلاً له
إذا جعلته لازماً نحو فجرنا الأرض عيوناً أي تفجرت عيونها أو إذا جعلته متعد
متعدياً نحو امتلأ الإناء ماء أي ملأه الماء والفاعل لا يتقدم على الفعل
وكذا ما هو بمعنى الفاعل وههنا بحث وهو أن الماء في قولهم امتلأ الإناء
ماء من حيث المعنى فاعل للفعل المذكور من غير حاجة إلى جعله متعدياً لأن المتكلم
لما قصد إسناد الامتلاء إلى بعض متعلقات الإناء ولو على سبيل التجوز
وفيه وقع الإبهام فيه جعل مرة تفصيله ماء فهو في المعنى امتلأ ماء الإناء
فالماء فاعل معنى وكذلك بعينه مثل قولك زيد تجارة فإن التجارة تمييز

ثم رفع الإبهام عن شيء منسوب إلى زيد وهو التجارة فالفاعل في قصدك
هو التجارة لا زيد فإن كان الإسناد إلى زيد حقيقة وإلى التجارة مجازاً وبهذا
يندفع ما يورد على قاعدتهم المشهورة وهي أن التمييز عن نسبة إما
فاعل في المعنى أو مفعول بأن التمييز في هذا المثال وأمثاله لا فاعل ولا مفعول
فلا يطرد تلك القاعدة خلافاً للمازني والمبرد فإنهما يجوزان تقديم التمييز على
الفعل الصريح وعلى اسم الفاعل والمفعول نظراً إلى قوة العامل بخلاف صفة
المشبهة واسم التفضيل والمصدر وما فيه معنى الفعل لضعفها في العمل وقد
وتمسكهما في هذا التجويز قول الشاعر أتهجر سلمى بالفراق حبيبها وما كان
نفساً بالفراق تطيب على تقدير تأنيث الضمير في تطيب فإنه حينئذ يكون في كان
ضمير الشأن لتذكيره وبعده ضمير تطيب إلى سلمى ويكون نفساً تمييزاً عنه
تطيب لها مقدماً عليه وأما على تقدير تذكير الضمير فضمير كان للحبيب ونفساً تمييز من
نسبة كان إليه أي وما كان الحبيب نفساً تطيب فلا تمسك وما قيل يحتمل
أن يحمل البيت على تقدير تأنيث أيضاً على وهذا الوجه بأنه يرجع تأنيث الضمير
الراجع إلى الحبيب باعتبار النفس في المعنى وما كان نفس الحبيب تطيب فتكلف

Copyright © King Saud University